تقرير حَوْلَ البحث التجريبي لِتَوثيق تجارب الأشخاص ذوي الإعاقة في المؤسسات الإيوائية في فلسطين

تموز 2024م

إعداد :

شذى أبو سرور، مستشارة، معهد الصحة العامة والمجتمعية، جامعة بير زيت

إشراف:

سوزان المتولي، باحثة أكاديمية ، معهد الصحة العامة والمجتمعية، جامعة بير زيت
ريتا جقمان ، أستاذة، معهد الصحة العامة والمجتمعية، جامعة بيرزيت

المؤسسات الإيوائية في ظل الحصار: شبكة لإخراج الأشخاص ذوي الإعاقة من المؤسسات في الشرق الأوسط
بتمويل من مجلس أبحاث الآداب والعلوم الإنسانية (AH/X009467/1)

المُقَدِّمة

هناك العديد من الطُرُق والمنهجيات المُعْتَمَدة في التعاطي مع قضايا ومصالح الفئات الأَقَلّ تمثيلاً في فلسطين، والتي تُجَسِّدُ انعكاساً للثقافة السائدة مِن جهة وامتداداً للمناهج والاستراتيجيات التي يدفعُ بها الغرب عبرَ الجهات المانحة من جهةٍ أخرى. ويمثلُ الإيواء أحد هذه الاستراتيجيات أو منهجيات العمل، والتي جَرَّبَها ولا يزال العديد من الأشخاص ذوي الإعاقة، بمَن فيهم (أنا) كإحدى أعضاء الفريق اللواتي يَعْمَلْنَ معاً على إعداد هَذا التقرير. ومن تجربةٍ شخصية، لا بُدَّ مِن البدء بالقَوْل أَنَّ الإيواء كَنَهْج يُمَثِّلُ موضوعَ بَحْثٍ غايةً في الأَهَمِّيَّة، لِما ينضوي عليهِ من تَناقُضات ومواقف ومشاعر مِن جهة، وما لَهُ من انعكاسات على هُوِيَّة الأفراد وشكل علاقاتهم بمجتمعاتهم من جهة أخرى.

وعليهِ، يُمَثِّلُ هَذا التقرير الخطوة الأولى لاستكشاف تجربة الإيواء كما عايَشَها ويُعايِشُها الأشخاص ذوو الإعاقة في فلسطين، وكَما يرتؤونَ التعبيرَ عنها، في محاولةٍ لفَهْم مواقفهم وأفكارهم ومشاعرهم المرتبطة بهذه التجربة، وأسباب الإيواء والممارسات الدارجة في المؤسسات الإيوائية، فضلاً عن فَحْص مواقف وأفكار الأشخاص ذوي الإعاقة تجاه اللاإيواء.

أهداف البحث

نَهْدِفُ عبر هَذا البَحْث إلى توثيق تجارب الأشخاص ذوي الإعاقة مِمَّن يتلقون الخدمات في المؤسسات الإيوائية الخاصة بالأشخاص ذوي الإعاقة في الوقت الراهن، وأولَئِكَ الذينَ سبقَ وأن مكثوا في مؤسسات إيوائية في السنوات الماضية. ونسعى عبر هذا التوثيق إلى :

- استكشاف طبيعة الممارسات التي تستخدمها المؤسسات الإيوائية وفحص إلى أي مدى تعزز أو تَحُدُّ مِن فُرَص شمول الأشخاص ذوي الإعاقة في المجتمع ، ورَصْد مدى انسجام هذه الممارسات مع المبادئ التي تقوم عليها حقوقهم، مِن قَبيل احترام الكرامة المتأصلة وتقرير المصير والاستقلال الذاتي والمشاركة الكاملة والفَعّالة وغيرها.
- رَصْد فَهْم الأشخاص ذوي الإعاقة لنَهْج الشُمول أو اللاإيواء، وإلى أي مدى يعتقدون بإمكانية تطبيقه في فلسطين وكيف.

المنهجية

تقوم عملية إعداد هذا البحث التجريبي على النَهْج الكَيْفي والقائم على التجربة السابقة المتصلة بموضوع البحث. تَمَّ تطوير قائمة التَساؤُلات التي سعت إلى رَصْد المَلامح العامَّة لتجربة الأشخاص ذوي الإعاقة في المؤسسات الإيوائية التعليمية والتأهيلية والرعائية في فلسطين. وقد رَكَّزَتِ التَساؤُلات على مَواضيع مِن قَبيل: كيفَ ولماذا التحقَ الأشخاص ذوو الإعاقة وَلا يَزالونَ بالمؤسسات الإيوائية، وهَل كانت لهم تجارب سابقة بالالتحاق بالمؤسسات التي تُقَدِّمُ الخدمات التعليمية وغيرها في أماكن سكنهم، ومدى انخراط الأشخاص ذوي الإعاقة في عملية اتخاذ القرار بالالتحاق بهذه المؤسسات، وتَواصُل الطواقم العاملة في المؤسسات مع الأشخاص ذوي الإعاقة سَعْياً لفحص مدى انسجامها مع المبادء التي تقوم عليها حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة كما وردت في اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، وأبرز المواقف والمشاعر والأفكار. إضافةً إلى ذلك، رصدتِ التساؤلات ممارسات المؤسسات ذات الصلة بمدى سَعْيِهِم لِحَثّ الأشخاص ذوي الإعاقة على تقديم التغذية الراجعة، وتلك المتعلقة بترسيم العلاقة مع الأُسَر والفئات الأخرى في المجتمع. فضلاً عن ذلك، رصدتِ التساؤلات أبرز الإيجابيات والسلبيات للمؤسسات الإيوائية من وجهة نظر المبحوثين/ات وآرائهم حيال مدى واقعية نَهْج اللاإيواء. ويجدر التنويه إلى أن هذا البحث لا يسعى ولا بأي شكل من الأشكال إلى تقييم عمل المؤسسات الإيوائية في البِلاد، لِذا نُذَكِّرُ بأن النتائج الواردة في هذا البحث تعكسُ وجهة نظر الأشخاص ذوي الإعاقة فقط، كَوْن الهدف الأساسي يكمنُ في توثيق تجاربهم وإبراز أصواتهم وآرائهم وأفكارهم.

لقد تَمَّ إجراء عشرة مُقابَلات مع الأشخاص ذوي الإعاقة مِمَّن سبقَ وأن مكثوا في مؤسسات إيوائية أو لا يزالونَ يمكثونَ في مؤسساتٍ إيوائية. إلا أنه قد تَمَّ استبعاد واحدة من المُقابَلات لعدم انطباق كافَّة المعايير. وتتلخصُ هذه المعايير فيما يلي:

- أن يكون جميع المبحوثين/ات قد مكثوا أو لا يزالون في مؤسسات إيوائية تعملُ حَصْراً مع ومن أجل الأشخاص ذوي الإعاقة في فلسطين.
- أن تكون العِيّنة على صِغَرِها مُمَثِّلة لنَوْع الجنس وأنواع الصعوبات/الإعاقات المختلفة والتوزيع الجغرافي.

- أن تتوفر لديهم الرغبة في المشاركة والقدرة على التعبير عن أنفسهم وتمثيل ذواتهم.
- أن يكونوا مِمَّن أعمارهم/ن 15 سنة فأكثر.

أَمّا بخصوص طريقة اختيار المَبْحوثين/ات، فقد اعتمدت على المَعارِف ومَعارِفِهِم (كرة الثلج)، أَيّ أنه تم اعتماد طريقة غير رَسْمِيَّة في اختيار مَنْ تَمَّت مُقابَلَتُهُم، ما عَدا واحدة مِن المبحوثات التي لديها صعوبة تَطَوُّرية أو ذهنية، فقد تَمَّ التَواصُل مع إدارة المؤسسة الإيوائية التي تمكثُ فيها لغرض إجراء المقابلة. هَذا وقد تَمَّ إجراء المُقابَلات خلال شهر أَيّار من العام الحالي (2024م) بشكلٍ وُجاهي ما عَدا واحدة، نظراً لضيقِ الوقت من جهة والتحديات المتعلقة بحالة الطُرُق مِن جهةٍ أخرى.

ولدى إجراء المُقابَلات، تَمَّ التَحَقُّق من تَوَفُّر المُقَوِّمات التالية:

- إدراك المبحوثين/ات لالتزام فريق البحث باحترام الخصوصية والسريَّة التي تتمثلُ في عدم مشاركة بياناتهم الشخصية لأية جهة وعدم ذِكْر أسمائهم وأي من المعلومات التي قد تُوْحي بهُوِيّاتهم الشخصية، إضافةً إلى إدراكهم لحَقِّهِم في التَحَفُّظ على الإجابة على أَيّ مِن الأسئلة.
- إجراء المُقابَلات في أماكن مُناسبة وتتوفر فيها مقومات إمكانية الوُصول.
- توفير التدابير اللازمة لتيسير عملية التواصل مثل ترجمة لُغة الإشارة مِن قِبَل شخص يختارونَهُ أو يُوافِقونَ عليه.
- التَأَكُّد مِن فَهْم المبحوثين/ات لموضوع البحث وأهدافه بشكلٍ واضح، مِن ثَمَّ أَخْذ الموافقة على إجراء المُقابَلة.
- أخذ موافقة المبحوثين/ات على تدوين تفاصيل المقابلة عبر طباعتها مُباشرةً على الحاسوب أثناء المقابلة.

معلومات حولَ العَيِّنة

كما أسلفنا الذِكْر، تمت مقابلة عشرة أشخاص ذوي إعاقة، تَمَّ اعتماد تسعة منهم وتحييد واحدة كَوْن المؤسسات الإيوائية التي مكثتْ فيها لم تَكُنْ حَصْراً للأشخاص ذوي الإعاقة.

الفئات العُمْرِيَّة: خمسة من المبحوثين/ات تتراوحُ أعمارهم ما بينَ 17 و 25 سنة، وأربعة منهم ما بَيْنَ 26 و 44 سنة.

نَوْع الجنس والحالة الاجتماعية: جميع المبحوثين/ات غَيْر مُتَزَوّجين، وثلاثة منهم من الذكور وستة إناث.

نَوْع الصعوبة/الإعاقة: اثنين من المبحوثين/ات لديهم صعوبة بصرية جزئية، وواحد لديهِ صعوبة/إعاقة بصرية كاملة، وأربعة من المبحوثين/ات لديهم صعوبة سمعية ثلاثة منهم وصفوها بأنها جزئية وواحدة وصفتها بأنها تامَّة (صَمّاء). واحدة من المبحوثات وصفت الصعوبة التي لديها بأنها تَأَخُّر في المدرسة، وهيَ تمكثُ في مؤسسة تُعْنى بالأشخاص ذوي الإعاقة الذهنية، وواحد من المبحوثين صَرَّحَ بأن لديه صعوبة حركية تتفاقَمُ عندما يكون خارج بيئة سَكَنِه.

مكان السكن: ستة من المبحوثين/ات من محافظة رام الله إنما واحدة منهم تمكثُ في مؤسسة إيوائية منذُ 32 سنة في محافظة بيت لحم، و 2 من المبحوثين/ات من محافظة الخليل، و 1 من محافظة نابلس.

أَمّا بخصوص **التوزيع الجغرافي للمؤسسات الإيوائية** التي مكثَ فيها المبحوثون/ات أو لا يزالون، فاثنتان منها في رام الله، وأخرى في بيت لحم، ورابعة في القُدْس وخامسة في جنين.

وبخصوص **التحصيل الأكاديمي والعمل**، فثلاثة من المبحوثين/ات قد أنجزوا درجة الباكالوريوس،واثنين منهم يدرسون إما في كليات أو جامعات، واثنين آخرين لا يزالون في المدرسة، واثنين لم يُنْجِزوا المرحلة التعليمية الأساسية. هَذا ومعظم المبحوثين/ات لا يعملون، سِوى واحدة، وأخرى عملت لدى أكثر من جهة حتى نهاية شهر تشرين أول من العام المنصرم (2023م).

أَمّا بخصوص **الفترة الزمنية التي قضاها المبحوثون/ات في المؤسسات الإيوائية**، فهيَ تتراوَحُ ما بَيْنَ سنتين ونصف و 32 سنة، وذلك على النحو التالي: واحدة من المبحوثات قضت ولا تَزالُ 32 سنة، وأربعة قضوا ما بينَ 10 و 12 سنة، وواحدة قد قضت 7 سنوات، واثنين ما بَيْنَ سنتين وخمس سنوات، بَيْنَما واحد من المبحوثين عَبَّرَ عن ذلك بأنه لا يتذكر، إنَّما يشعرُ بأنه قد قضى وقتاً طويلاً هناك (سنين). وقد تَبايَنَ المبحوثون/ات من حَيْث السنة التي تركوا فيها المؤسسة ما بَيْنَ العام 1995م والعام المنصرم (2023م)، هَذا ولا يزال ثلاثة من المبحوثين/ات يتلقون الخدمات في المؤسسات الإيوائية.

النتائج

نظراً لِصِغَر العَيّنة، يجدرُ بِنا التنويه إلى والتأكيد على أن النتائج أدناه ليست مُمَثِّلة وغير قابلة للتعميم ولا بأَيِّ حالٍ من الأحوال، إنَّما يُرادُ بِها أن تَرْسِمَ الطريق وتُضيء على أبرز المَسائل التي يمكنُ أَخْذُها بالحسبان في عمليات التخطيط والتصميم لأعمالٍ بَحْثية في ذات المجال مُسْتَقْبَلاً. ويُرْجى الملاحظة بأن أي من المواضع في الاقتباسات التي وردَ فيها اسم شخص أو اسم مؤسسة قد تَمَّ استبدالُها ببضع نقاط أو رموز.

كَيْفَ أصبحَ المبحوثون/ات في المؤسسات الإيوائية وَلِماذا؟

لقد أشارَ صراحةً ثلاثة من المبحوثين/ات مِمَّن لديهم صعوبة سمعية بأن وجودهم في مؤسسة إيوائية لم يكن بقرار منهم أو بِرَغْبَتِهم، إنَّما بقرار ورغبة الأهل، ويُرْجِعونَ ذلك إلى الصعوبة/الإعاقة التي لديهم. ويجدر التنويه إلى أنهم قد حاولوا الالتحاق بالمدارس النظامية الكائنة في أماكن سكنهم، إلا أنهم كانوا يُقابَلونَ إمّا بالرفض والنَبْض والتَنَمُّر من الطلبة أو دَفْع الطواقم الأَهْل لإيجاد مدارس تُعْنى بالطلبة الصُمّ.

فيُعَبِّرُ أحد المبحوثين عن ذلك بِقَوْلِه: " أنا كنت بديش بديش بعدين عادي، بالأول ما كان عندي أصحاب، بعدين لما صار عندي أصحاب تعودت، بس أمي كانت تحكي لازم، كانت تسكر عليّ المدرسة وتطلع."

(شابّ لديه صعوبة سمعية، 17 سنة)

وتَفاعُلاً مع هذا السؤال، أشارت إحدى المبحوثات إلى أَنَّها لا تذكر:

" ما بتذكر كنت صغيرة كنت بِرَوْضة للسامعين، بعدين المعلمات قرروا أنه صعب أظل، وحكوا لأهلي، وال... غالي المكان بعيد، وفي ناس حكوا لأهلي المؤسسة س فيها مبيت، فقرروا أنه هيك أسهل وأقل تكاليف مواصلات وهيك."

(فتاة لديها صعوبة سمعية، 22 سنة)

وبالرغم من أن أهل أحد المبحوثين قد أرادوا له دوماً الذهاب لمدرسة إيوائية وهو لم يُرِدذلك لنفسه، إلا أنه هو الذي اتخذ القرار بشكل غير واعي نتيجة لاتصال تلقاه من أستاذ في المدرسة التي ذهبَ إليها، ولا يعرف هو نفسه كيف وافق، ربما وجدَ نفسه في موقف محرج، ويعزو السبب:

" التعليم ... أنه يكون عندي مهارات بطريقة بريل وثاني شيء أني أطلع من الجو الي كنت فيه موجود بين أشخاص معينين ما في مشاركة في المجتمع أو شيء زي هيك."

(شابّ لديه صعوبة بصرية، 23 سنة)

وقد أشارت إحدى المبحوثات التي التحقتْ بمؤسسة إيوائية عندما كانَ عُمْرُها عشرة سنوات إلى أَنَّها اتخذت القرار بنفسها كَوْنها تَقَبَّلت بعد حين الصعوبة البصرية التي لديها، الأمر الذي تَرافَقَ مع أو قد يكون السبب أن إحدى المعلمات في الندرسة النظامية التي كانت فيها قالت بأنها (يجب أن تكون في مدرسة خاصة بالمكفوفين)، ويصاحب ذلك وجود أختها في المدرسة الإيوائية، كما قيام المؤسسة نفسها بالترويج لخدماتها عبر الزيارات الميدانية للمنازل. وحسب تعبيرها كانت هذه رغبة الأهل ورغبتها. وفي وَصْفِها لسبب تواجدها في المؤسسة قالت:

" كنت دائماً عارفة الإجابة، لأني عندي إعاقة ببساطة. وإذا ما كنت هناك ما كان في مكان ثاني، إما الجهل أو أنك تعيش بهيك مكان."

(امرأة لديها صعوبة بصرية، 42 سنة)

ويتبين لدى الاطلاع على إجابة إحدى المبحوثات بأن قرار الذهاب إلى مؤسسة إيوائية لم يكن تجسيد لرغبتها أو رغبةِ الأهل، إنَّما كانَ هُوَ الخيار الوحيد في ظِلّ رَفْض المدارس النظامية آنَذاك قَبول الطلبة ذوي الإعاقة. فتقولُ في تعبيرِها عن الموضوع:

" أنه تشاورا معي موافقة مش موافقة لا، بس خبروني يعني، وإلا ما كنت رايحة أعيط سنتين وما أكون مرتاحة. المشكلة أهلي انجبروا على هذا الخيار لأنه المدرسة الي عنّا رفضوا يقبلوني المديرة رفضت تقبلني في المدرسة، وكيف عرفت أبوي

كان رافض تماماً وكان يعيط لما أخذوني، بس بإقناع من أمي حتى وافق، هذا ما سمعته فيما بعد. فلا أنا تمت موافقتي وهم أهلي على عينهم حسب ما بعرف، وأنا بتذكر كثير منيح قديش أنا وأمي كنا نعيط، كانت تعيط على السكت وأنا أحس بالرَجَّة لأني كنت أكون بحضنها. وطول ما أنا هناك أختي تحكيلي أنه أمي ليل ونهار دايماً تعيط. هذا عرفت عنه جديد يمكن قبل كم شهر أو قبل سنة."

(امرأة لديها صعوبة بصرية، 40 سنة)

هَذا وأشارَ أحد المبحوثين إلى أنَّ المعلومات التي تَخُصُّ الإيواء وغيره قد تَمَّ عَرْضُها على أُمِّه وليسَ عليه، ويعزو ذلك كما عدم انخراطه في عملية اتخاذ القرار إلى أن عُمْرَهُ كانَ صغير في ذاكَ الوقت. بالنسبة لسبب تواجده هناك يقول:

"عشان الصعوبة الي عندي الإعاقة الي عندي، حكوا لأهلي ودّووه هناك عشان يتحسن والعلاج وأنا صغير بيكون شيء هَيّن عليّ"، (شابّ لديه إعاقة حركية، 31 سنة). بَيْنَما أشارت إحدى المبحوثات إلى أن سبب وجودها في المؤسسة الإيوائية يرجعُ إلى وفاة أُمِّها فتقول " أخوي جابني هون وراح تزوج وسافر برة أمي كانت ميتة."

(امرأة ذات إعاقة ذهنية، 44 سنة)

وكَوْن تَلَقّي الخدمات هُوَ أحد أبرز الأسباب التي دفعت بالأهل لإرسال أبنائهم وبناتهم ذوي وذوات الإعاقة للمؤسسات الإيوائية، فقد رَصَدْنا الخدمات التي تَلَقّاها البعض ولا يزال البعض الآخر يَتَلَقّاها في المؤسسات الإيوائية. فبالنسبة للمبحوثين/ات مِمَّن لديهم صعوبات بصرية، فقد أشاروا إلى أَنَّ الخدمات التي تَلَقّوها تتمثلُ بـِ: الخدمات التعليمية والمعيشية، إضافةً إلى تقديم الدورات التدريبية في التكنولوجيا، والخدمات التطويرية من قَبيل تحفيظ القرآن. وأشارت إحدى المبحوثات إلى أن المؤسسة كانت تقوم بتقديم الملابس في بعض الأحيان، وأشارت أخرى إلى تعليم السباحة. وإضافةً للخدمات التعليمية، يُشيرُ المبحوثون/ات مِمَّن لديهم صعوبة سمعية إلى تَوَفُّر جلسات النُطْق خاصةً في الماضي، فضلاً عن تقديم خدمات تَعَلُّم المهارات الحياتية وإن كانت محدودة كما أشارت إحدى المبحوثات، وقد أضافَ البعض تَلَقّي الخدمات الترفيهية. ويضيفُ آخرون إلى تَلَقّي خدمات مِن قَبيل العلاج الطبيعي واللَعْب. ويُلاحَظ بأن المبحوثين/ات لا ينظرونَ للإيواء على أنه خدمة، إذ لا يأتوا على ذكرها بشكل تلقائي. فقط ذُكِرَت من قِبَل شخصين.

أَمّا بخصوص الخدمات التي من شأنها تعزيز الاعتماد على النفس والاستقلال الذاتي، فمعظم المبحوثين/ات قد أشاروا إلى أنهم لم يَتَلَقّوا مثل هذه الخدمات بشكلٍ مقصود في المؤسسات الإيوائية، وأشارَ البعض إلى أنهم تَعَلَّموها بمفردهم، بَيْنَما أشارت إحدى المبحوثات إلى أن أسلوب الحياة في هذه المؤسسات يدفعُ الأشخاص إلى تَعَلُّم هذه المهارات واكتسابها، هَذا وأشارت أخرى إلى أنها لا تعتقد بأن هذه الخدمات مثل تنظيف الأواني والترتيب ورعاية أشخاص آخرين كُلّ هذه المهارات قد اضْطُرَّت لِتَعَلُّمِها وممارستها في عُمْرٍ مُبَكِّرة. وأشارَ اثنان من المبحوثين/ات إلى أنهم تَعَلَّموا استخدام العصا البيضاء، وأفادت واحدة منهم إلى أنها حصلتْ على دَرْسَيْن فقط.

أَمّا لدى رصد ما إذا كانت أو لا تزال المؤسسات الإيوائية تُنَظِّمُ الأنشطة اللامنهجية التي تُتيحُ فُرَص التَعارُف على أشخاص آخرين من خارج تِلْكَ المؤسسات، تُبَيّنُ الإجابات بأن كانت هنالك محاوَلات متواضعة لزيارة مدارس أخرى أو إتاحة الفرصة لطلبة آخرين لزيارة هذه المؤسسات، ولكن حسب وصف المبحوثين/ات لم تُمَثِّلْ هذه الزيارات فُرَص للتعارُف. ويُضيفُ البعض إلى أن كانت هناك بعض الأنشطة اللامنهجية، ولكنها غير كافية. وهناك ما يشبهُ الإجماع على أن المبحوثين/ات يُفَضِّلونَ لو أن هناك أنشطة رياضية وتنظيم مُبارَيات وزيارات للأندية والمُتَنَزَّهات والمطاعم وهكذا. سوزان: هذا الجزء من عند أما لدى رصد حتى والمطاعم وهكذا يمكن أن تكون أنسب أن تأتي مع قسم الخدمات.

وفي رَصْد مدى تَوَفُّر الخدمات في أماكن سكن المبحوثين/ات، يمكنُ القَوْل بأن هناكَ إجماع على تَوَفُّر خدمات التعليم في أماكن سكنهم، ولكنها لا تتوفرُ على المُقَوِّمات اللازمة من حَيْث تقديم الخدمات بما يستجيبُ للفروق الفردية ما بينَ الطلبة، سواء ما يتعلق بغياب لُغة الإشارة أو عدم تَوَفُّر التعليم لطريقة برايل، وغير ذلك مِن الطُرُق الواجب تَوَفُّرُها لإتاحة فُرَص تعليم ذات جَوْدة للطلبة ذوي الإعاقة. وفي وَصْف ذلك تقول إحدى المبحوثات بخصوص تَوَفُّر الخدمات في مكان سَكَنِها:

"متوفرة ولكن طريقة الحصول عليها لشخص عنده إعاقة بصرية فيها صعوبة بالغة. في فرق بين ما تكون الخدمة متوفرة وطريقة الحصول عليها متوفرة أو لا."

(امرأة لديها صعوبة بصرية، 42 سنة).

ويُضيفُ مبحوث آخر قائلاً:

" لأن هم طرضوني وكنت أهرب كثير، وكمان حكولي ممنوع الصُمّ يكونوا مع السامعين. إدارة المدرسة حكت صعب يكونوا مع بعض، فقالوا لأهلي انقلوه."

(شابّ لديه صعوبة سمعية، 17 سنة)

ولدى رَصْدِنا لِما هُوَ مُعْتَمَد مِن قِبَل المؤسسات الإيوائية بشأن مواعيد عَوْدة الطلبة والمستفيدين/ات ذوي وذوات الإعاقة لأُسَرِهم، فقد أفادَ خمسة من المبحوثين/ات بأنهم كانوا يذهبونَ إلى بُيوتِهِم أَيّام الخميس من كُلِّ أسبوع، ويعودونَ للمؤسسات صباحَ أَيّامِ الأحد. وتَفاعُلاً مع هَذا السؤال قالت إحدى المبحوثات:

"بزور أختي لما أختي بدها، والآن ما بَزورها لأن الطرق على رام الله مسكرة."

(امرأة لديها صعوبة ذهنية، 44 سنة)

وأشارت أخرى إلى أنه في البداية كانَ الذهاب للمنزل مُنْتَظَم كل أسبوع أو أسبوعَيْن، ولكنها تذكرُ مَرَّةً تَعَذَّرَ ذلك بسبب مجزرة الحرم الإبراهيمي، وتَصِفُ ذلك فتقول:

"نعم، ما كانوا ينقطعوا أبداً إلا فترة مجزرة الحرم الإبراهيمي لأنه كان منع تجول كامل على البلد، ما كان حدا مسموح له يروح وييجي، وبهاي الفترة كانوا أهلي يتصلوا باستمرار على أساس يحكوا معي والمدرسة ما كانت تسمح لهم يوصلوني بحجة إني بالصف، وما خبروني أنه أهلي كانوا يتصلوا، لمدة ثلاث أشهر، طول هاي الفترة كنت أفكر أنه أبوي زعلان مني ما بده ييجي يروحني"

(امرأة لديها صعوبة بصرية، 40 سنة)

أَمّا بخصوص التَواصُل مع الأهل أثناء المكوث في المؤسسات الإيوائية، فهناكَ ما يُشْبِهُ الإجماع على أَنَّهُ كانَ يُسْمَحُ بالتَواصُل عِنْدَ الضرورة فقط. إذْ أشارَ بَعْضُ المبحوثين/ات مِمَّن تركوا المؤسسات خلال السنوات الأخيرة أو لا يزالونَ فيها بأن عليهم تسليم هواتفهم المحمولة لحظةَ دخول المؤسسة واستعادتها عندَ الذهاب للبيوت. واثنان من المبحوثين/ات فقط أشاروا إلى أنه بإمكانهم التواصل مع عائلاتهم متى ما يريدونَ، فما عليهم إلا إبلاغ العاملين/ات برغبتهم بالاتصال. بَيْنَما أشارت إحدى المبحوثات إلى أنه لم يكن لديهم وسيلة تَواصُل، وأن أهلها لم يسعوا للاتصال بِها، على عكس أهالي الطلبة الآخرين حسبَ تعبيرِها.

وفيما يتعلق بما أفادَ به المبحوثون/ات تَفاعُلاً مع سؤال (كيفَ كانوا أو كيفَ يقضونَ أوقاتهم عندَ العَوْدة للمنزل)، فقد تراوَحَتِ الإجاباتُ ما بَيْنَ قضاء الوقت على نحوٍ روتيني في المنزل مع الأهل أو مع أبناء وبنات العُمومة، واللَعْب مع الأصحاب، وتَناوُل ما يشتهونَ من الطعام بما في ذلك الحلويات، وقضاء أَطْوَل وقت ممكن خارج المنزل. ومِن الإجابات المُثيرة للاهتمام ما قالتهُ إحدى المبحوثات:

"وأنا صغيرة كنت أحب أروح أكثر، بعدين صف خامس سادس صرت أحب أظل في المدرسة عادي عشان صاحباتي والرياضة ونكون الصُمّ مع بعض، وكلهم في البيت بيحكوا بسرعة ما كنت أفهم عليهم، ولما أسأل أبي كان يعطيني شيء مختصر، الحكي يكون طويل والترجمة من أبي قصيرة كثير."

(فتاة لديها صعوبة سمعية، 22 سنة)

كيفَ وصفَ المبحوثون/ات التجربة في المؤسسات الإيوائية؟ (الأفكار، والمواقف، والمشاعر التي يُعايِشونَها أو يتذكرونها)

مِن غَيْر الممكن القَوْل بأن ما تَمَّتْ مُشارَكَتُه من إجابات في التفاعُل مع هذا السؤال هُوَ سَهْل الهَضْم، إذ لا يمكن الادِّعاء بأن هناك سَطْر أو فقرة يمكن أن تَصِفَ تجربة الأشخاص ذوي الإعاقة في المؤسسات الإيوائية وتصلح لأن تنسحب على الجميع، حتى وإن كانَ المبحوثون/ات تسعة أشخاص فقط. كُلُّ كلمة أو سَطْر تَمَّت مُشارَكَتُه يُشَكِّلُ موضوعاً يستدعي التَعَمُّق والبَحْث، سواء لدى وَضْع الإجابات في سياق محدد، أو لدى رَبْطِها في سياقات أخرى. وبالرُغْم من ذلك، هناك بعض الأفكار والمشاعر التي تَقاطَعَ فيها المبحوثون/ات إلى حَدٍّ ما، مِن قَبيل : الانزعاج من النظام الصارم، والخَوْف خاصةً في المراحل الأولى والشعور بالحرمان، والمقارنة ما بينَ الطاقم التدريسي والمُشْرِفات في أقسام الإيواء بحيث نجد أَنَّ البعض يرى بأن المُعَلِّمين/ات كانَ تعامُلُهُم أفضل رغم أن هَذا لا ينفي حقيقة أَنَّ البعض الآخر قد أظهرَ امتعاض مِن قسوةِ قِلَّةٍ مِن المُعَلِّمين/ات غير المُبَرَّرة في الكثير مِن الأحيان. فيقولُ أحد المبحوثين:

"بعد الظهر الأشياء الي في السكن تعامل المشرفات أبداً ولا بأي شكل من الأشكال يُهْضَم التعامل كثير كثير سيء في مشرفة واحدة كبيرة في العمر كانت متعاطفة مع الطلاب وتساعدهم. كنا نقضيها بهادل وفي طلاب كانوا ينضربوا مش شغل تأديب عنف شديد فعلياً. أحياناً كان في يكون حرمان من شيء معين مثلاً أنشطة معينة، أحياناً الحرمان من الأكل لبعض الطلاب أصلاً، دايماً كان عندي قرار مصمم عليه بأن هذه المدرسة لازم أطلع منها، أنا مش طايق هداك المكان أبداً، وبعض الطلاب وأنا منهم كنا متضايقين من بعض المشرفات لأنه كان في تمييز بين الطلاب."

(شابّ لديه صعوبة بصرية، 23 سنة)

وتضيف أخرى:

"هي قسمين في الفترة القديمة أول ما دخلت كطفلة كانت عادي، ما كان في صعوبات أو مشاكل، ما كنت أحس في ضغوطات نفسية ومشاكل. بعدين صرت أحس أنه في صعوبات، صرت أفهم أكثر الأشياء، بتذكر أنه الأكل ما كان زاكي أبداً. ماكنت أحب السمك، بس إذا ما أكلت سمك ما في بديل."

(شابَّة لديها صعوبة سمعية، 25 سنة)

وفي وَصْف الخَوْف والاضطراب والإرباك، تقول إحدى المبحوثات:

" بأول أسبوع ما كنت فاهمة اشي المعلمة بتصرخ عليّ يا ... اكتبي، وأنا مش فاهمة شو مطلوب مني، كنت خايفة. بعدين لما قعدت مع أختي ارتحت. المعلمة بتصيح والأولاد بيطلعوا عليّ لأني كنت جديدة."

(شابَّة لديها صعوبة سمعية، 22 سنة)

وتقولُ إحدى المبحوثات:

"هذه أماكن تذكرني بالخداع، يمكن تكون حلوة من برة، توصل للناس رسائل ذات قيمة، ولكن داخل السور في شغلات كثيرة مخفية، سواء السيطرة أو التسلط، هذه الشغلات الأكثر كانت تستفزني."

(امرأة لديها صعوبة بصرية، 42 سنة)

رُغْمَ أَنَّ هذه المبحوثة نفسها تؤكدُ على أَنَّ التجربة عموماً هيَ مفيدة، وشأنها شأن أية تجربة، فيها الإيجابيات والسلبيات.

وَمِن اللافت للنظر، أَنَّ إحدى المبحوثات التي لديها صعوبة بصرية أيضاً، وقد تركت المؤسسة الإيوائية في العام 1995 وقضت فيها أربع سنوات ونصف، ما أن سُئِلَت عن تجربتها في المؤسسة الإيوائية راحت تتحدثُ عن أَدَقّ التفاصيل لليوم الأَوَّل لَها في المؤسسة، ومِن بَيْن ما ذكرت البُكاء الشديد وخيبة الأمل إزاء كَذِب المعلمات عليها إذ قالوا لَها بأن أهلها قد غادَروا المؤسسة، ووجدتْ بعدَ ذلك بأنهم لم يُغادِروا. وهيَ نَفْسُها أشارت إلى أنها كانت تشعر بالوحدة لأنها كانت في قِسْم مَن هُم أكبر مِنْها.

هَذا ويتذكر أحد المبحوثين الذي كانَ في مؤسسة في القُدْس وَهُوَ مِن سُكّان رام الله موقف يبدو بأنه لم يتحرر منه، فقالَ:

"كان الوضع عن جد صعب محاسيم وجيش، حتى مرة الجندي كان بدي يطخني لليوم متذكرها، ما كان معنا تصريح الجندي بحكي لأمي روحوا من هون أو بطخه، أما هي من ناحية تجربة في (المؤسسة) كثير حلوة."

(شابّ لديه صعوبة حركية، 31 سنة)

ومِن ناحيةٍ أخرى، هناك تركيز مِن الأغلبية على مسألة تَشَكُّل مجتمع من الأصدقاء داخل هذه المؤسسات حيثُ يتشاركونَ المشاعر والتجارب وطُرُق التَواصُل التي يفتقدونَها في مجتمعاتهم الأَسَرِيَّة، والتي مِن أَجْلِها نجد بأَنَّ البعض قد يُفَضِّلُ الإيواء بِغَضّ النظر عن الظروف الأخرى التي لا يُحِبّونَها، الأمر الذي سيظهر جَلِيّاً في أجزاءٍ لاحقة مِن التقرير، ولَعَلَّ هَذا الصَوْت أعلى لدى الأشخاص الذينَ لديهم صعوبة سَمْعِيَّة. هَذا ويؤكدُ اثنين من المبحوثين/ات دونَ لُبْس على أَنَّ التجربة في المؤسسات الإيوائية جيدة جداً مِن حَيْث تَلَقّي الخدمات التي يحتاجونَها وتعامُل الطواقم العاملة فيها، أحدهم لديهِ صعوبة حركية والأخرى لديها صعوبة ذهنية، ويُلاحَظ بأن كِلَيْهما قد استخدمَ كلمات مثل (مبسوطين) في تعبيرهم عن مشاعرهم.

كَيْفَ وصفَ المبحوثون/ات تَعامُل وتَواصُل الطواقم العاملة في المؤسسات الإيوائية؟

وقد تَمَّ رَصْد هَذا الجانب من خلال السؤال مباشرةً عن تعامل وتواصُل الطواقم العاملة في المؤسسات الإيوائية معهم، من حيث السلوكيات عموماً والتفاعُل مع الاستفسارات والملاحظات، ومدى الاستجابة لهذه الملاحظات، فضلاً عن آرائهم حولَ الأسباب وراء طُرُق التعامُل والتَواصُل، وما إذا كانوا يعتقدونَ بأنها تتغير أو تَغَيَّرَتْ مع الوقت. ويتوجبُ بِنا التذكير مُجَدَّداً بأن صِغَر العَيّنة لا يسمحُ بتعميم أَيّ مِن النتائج الواردة في هذا الجُزْء وغَيْرِه من أجزاء هَذا التقرير، إنَّما هُوَ بِكُلّ تأكيدٍ انعكاس شَفّاف لتجارب الأشخاص الذينَ تَمَّت مُقابَلَتُهم.

يَتَبَيَّنُ مِن غالبية المَبْحوثين/ات بأن الممارسات الأكثر بُروزاً تَتَّسِمُ بالعُنْف والتمييز والسيطرة والتَسَلُّط والتَجاهُل للاستفسارات والمُلاحَظات، إذْ يمكنُ لَحْظُ ذَلِكَ صراحةً وضِمْناً في إجابات سبعة من المبحوثين/ات ذوي الصعوبات السمعية والبصرية.

وفي وَصْف إحدى المبحوثات للعُنْف والتمييز، تقول:

"كان في استخدام للضرب والحرمان والترهيب وكثير بيحاولوا يفرقوا بين الطلاب يستعملوا هيك أساليب بتشجع على الفِتَن وبتخلي الواحد ثرثار في الي بيلزم والي ما بيلزم يعني، وكانوا بحجة تنظيف الشعر يستعملوا خلطة كاز وزيت وخَلّ وكانت مؤذية كثير، سببت حروق عندي في الرقبة وجلدة الراس وحروق مش طفيفة يعني، ما كانت بسيطة، غير الضرب بكل الطرق بالعصاي وبالأحذية، سواء كنت أتعرض لها أنا أو كنت أشوفها". وفي تفسيرها للتمييز، تقول: " مرات كثير في الصف كنا نشوف بيميزوا معطالبة معينة ما بتنضرب شو ما بتعمل وما بتتبهدل وغيرها ما بيكون عامل شيء وبيتعرض للضرب، ما بتعرفي شو السبب، الضرب كان على الطالعة والنازلة بدون سبب أو لأتفه الأسباب. وهذا الشيء كان يثير حساسيات بين الطلاب نفسهم وغير أنه لما يكون شخص مفضل عند معلمة عن باقي الطلاب بيتم تدليله."

(امرأة لديها صعوبة بصرية، 40 سنة)

ولم يَقُلْ لها أحد أي شيء بخصوص الشخص الذي يمكنها أن تعرض عليه/ا الملاحظات، وأشارت إلى أَن الأخصائية لم تَكُنْ خيار مُحَبَّذ، هذا وصَرَّحت بأن الطريقة الوحيدة التي كانت أُمُّها فيها تعرفُ عن تَعَرُّضِها للعُنْف، عندما كانت تُلاحِظُ علامات

ذلك على جَسَدِها. ولا يمكن أن نعزو ذلك لأية فترة زمنية، وإن تركت المبحوثة أعلاه المؤسسة الإيوائية في العام 1995. إذْ يقول أحد المبحوثين الذي تركَ المؤسسة الإيوائية في العام 2016 في وَصْفِه للعُنْف والتمييز:

"مثلاً نيجي على المعلمين في عنف من بعضهم في مدرسة كانت إن أي طالب من الي ما بتحبهم مش الكل يغلط أي غلطة كانت مباشرة تمد إيدها عليه لو غلطة في الحركات في القراءة لو بدل الفتحة ضمة أنا كنت في الصف ابن صفي قرأ غلط مسكت رأسه وضربته بالدُرْج، على أبسط الغلطات كانتهاي الشغلة تصير، وفي أستاذ كان يدرس الطلاب الصغار بصف أول وثاني لما كانوا يغلطوا كان يستخدم معهم البربيج وكان يأذيهم بالضرب. يعني طالب صف أول أو ثاني بتيجي معه بالمنيح بيعمل الي بدك إياه المفروض". وَيُتابع: "أكثر شيء العنف كان المشرفات ابيه كانوا يستخدموا أيديهم كثير ضرب على عصبية مسبات شتائم، العنف مش بس الجسدي والعنف النفسي واللفظي بيؤثر كثير، أحياناً لما يشوفوا شخص ما بيحبوه بس يكتشفوا على طول بينضرب شو ما كانت نوع الضربة بيتبهدل بطريقة مش لائقة يعني وإذا كانت الدنيا برد ما بتسأل المشرفة هيك خليك واقف بالبرد برة وممنوع تتحرك ولا أي حركة لمدة ساعة أو ساعتين أقل شيء، كنت أطلع يوم أحد على المدرسة لما كنت أطلع كنت أحس حالي رايح على السجن حرفياً."

(شابّ لديه صعوبة بصرية، 23 سنة)

ويؤكدُ هذا الشابّ على وجود مرشدة اجتماعية كانتْ تُصْغي لهم وتؤكد على أنها سوفَ تنظر في الأمور التي كانوا يُحَدِّثونَها عنها، وحسب ما قال فقد كانَ لهذه المرشدة دَوْر في إضافة خدمة التعليم الحركي أي استخدام العصا البيضاء. أَمّا العُنْف، فأفادَ بأنه لم يتوقف كممارسة حتى آخر يوم لَهُ في المدرسة، رغم أن المُرْشِدة كانت تَعِدُ دَوْماً بأنها سوفَ تنظر في الأمر.

هَذا وترى إحدى المبحوثات بأن هناك فَرْق بينَ المعلمات وقسم الإشراف (الإيواء)، فأشارت إلى أن التعليم كانَ يتسم بالجَوْدة والتعامل الإيجابي من قِبَل المعلمات، على عكس المشرفات حيث التسلط والسيطرة والابتزاز والتجريح:

"أما الإيواء، ما كنا نأكل زي في بيتنا، كان في معايرة يقولون لنا نحن بنصرف عليكم، أنتم أهلكم راميينكم."

(امرأة لديها صعوبة بصرية، 42 سنة)

وتَقولُ إحدى المبحوثات التي لديها صعوبة سمعية في وَصْف العُنْف والتَجاهُل:

"بالتعليم دايماً ضرب ضرب من زمان لحد الآن، صبح وليل وظهر عصبية". وتؤكدُ على أنه لا يوجد شخص معين تم تحديده من قِبَل المدرسة كي تقول له ملاحظاتها، ولكنها تقول للأولاد والمديرة أو لأخيها وهو بدوره يقول لأهلها. وتُضيف: "أنا بحكي للمشرفة وهي بتطنش، بعدين بحكي للمديرة. بعدين هي بتعمل برنامج، للجلي والتنظيف والمسح. نحن نُنَظِّف لما نكون في السكن. نحن نساعد في التنظيف، بحكي كمان للمديرة لما المشرفة بتضرب الأولاد، يعني ضربة خفيفة معليش بس مش كثير."
(فتاة لديها صعوبة سمعية، 17 سنة)

ويؤكدُ على ذلك (أي العُنْف والتَجاهُل) ويُضيفُ الظُلْم أحد المبحوثين الذينَ يمكثونَ في ذات المؤسسة وذات الفئة العمرية. ومن بعض ما قالَهُ في وَصْف الوضع:

"في التعليم في عقوبات أكثر على الطلاب، زمان ضرب على اليَد اليوم كثير ضرب، وفي صراخ وعصبية واتصال على الأهل"

(شابّ لديه صعوبة سمعية، 17 سنة)

أَمّا إحدى المبحوثات التي لديها صعوبة ذهنية تؤكدُ على أَنَّ التَعامُل جَيِّد وتُعَبِّرُ عن ذلك في الإصرار على استخدام كلمات مثل (بحبهم وبيحبوني)، وقد أَكَّدت على أنها تعرف الشخص الذي يمكنُها التَوَجُّه إليهِ في حال كانَ لديها استفسار أو في حال كانت هنالك أية مشكلة. أَمّا المبحوث الذي لديه صعوبة حركية فيؤكد كذلك على أَنَّ التَعامُل جَيِّد، وأنه قد خرجَ من المؤسسة لأنه يعتقد بأن وجوده كَوْنُه كَبُر باتَ يُزْعِجُ أمهات زميلاته من البنات، ويقولُ بأنه لو أُتيحَت له فرصةُ العَوْدة سيعود فَوْراً.

وفي محاولة المبحوثين/ات تفسير الأسباب وراء الممارسات التي قاموا بمشاركتها، فيمكنُ القَوْل بأن الأسباب تَعودُ لثلاثة عوامل رئيسية تستدعي البَحْث. ويتجلى العامل الأَوَّل في غياب المُساءلة والمتابعة من أَيَّة جهة بما في ذلك من طرف الأهل، سواء بسبب عدم الاهتمام أو عدم الوعي بمثل هذه الممارسات. فتقولُ إحدى المبحوثات في وصف ذلك:

"مرات كثير كمان غياب الأهل عن الي بيصير جوة المؤسسة أو المدرسة، سواء لأنهم مش سائلين ومش فارقة معهم أو لأنهم مش عارفين، ومرات بيرجع للطلاب نفسهم، أمي بتحكيلي كنت أسألك داياماً بس أنت ما كنتِ تحكيلي، لا محاسبة من الأهل ولا من الجهات الرسمية للترك الجو لهم يعملوا الي بدهم إياه. غير أنه كثير طلاب كانوا يظلوا بالمدرسة على طول السنة ما يروحوا بالمرة، ويمكن هدول كانوا أكثر عرضة للعنف والمعاملة السيئة لأنه ما في حدا بيسأل عنهم، بس هذا مش مقياس، لأنه نحن كنا نروح باستمرار بس ما كنا نحكي."

(امرأة لديها صعوبة بصرية، 40 سنة)

بَيْنَما يتجلى العامل الثاني في غياب معايير اختيار العاملين/ات في هذه المؤسسات وتحديداً مَن يعملونَ منهم/ن في أقسام الإيواء، إذ أشارت إحدى المبحوثات بأن المشرفات في أقسام الإيواء غالباً ما يكونوا من خلفيات اجتماعية واقتصادية صعبة. أمّا العامل الثالث فلَعَلَّهُ يرجعُ إلى غياب أو محدودية أنظمة المساءلة والرقابة والتقييم الداخلية في هذه المؤسسات، ما يقودُنا إلى طرح رُزْمةٍ مِن علامات السؤال من قَبيل: كيفَ يرى العاملون/ات أنفسهم وأدوارهم ومسؤولياتهم؟، وما هيَ انطباعاتهم عن الأشخاص ذوي الإعاقة؟، ولأي مدى تقوم هذه المؤسسات في مبادء عملها على احترام الكرامة المتأصلة للطلبة والمستفيدين/ات؟، وغير ذلك. وقد تَمَّ استقاء هذا العامِل من مُداخَلات بعض المبحوثين مِن قَبيل:

"لأنهم ما بيأخذوا الطلاب الي عندهم على أنهم أمانة، أو زي كأنهم أسرة مع بعض بيقضوا وقت طويل مع بعض بيأكلوا وبيشربوا مع بعض، بيفكروا أنهم جايين يعملوا على الأشخاص الموجودين سيادة، مش عشان يعطي شعور بأننا أهل وأسرة." (شاب لديه صعوبة بصرية، 23 سنة)

"لأنهم بيفكروا أننا ما بنحب التعليم وبس بدنا نلعب، ولَمّا نحكي للمديرة عن معلمة ضربتنا كَفّ أو عصا أو بربيج، كانت تضربنا أكثر لما تروح المديرة. وكانت لما ما نحكي تقول لنا شاطرين."

(فتاة لديها صعوبة سمعية، 22 سنة)

ولدى سؤال المبحوثين/ات عن أوضاع المؤسسات الإيوائية في الوقت الراهن مقارنةً بما كانتْ عليهِ في السابق، لا يمكنُ القَوْل بأن هناك تَوافُق يمكنُ لَحْظُه لدى النظر في الإجابات. ففي الوقت الذي تقول فيهِ إحدى المبحوثات بأنها تعتقد أَنَّ الأوضاع على ما كانتْ عليهِ سابقاً نظراً لِكَوْن الأسباب وراء الممارسات لا تَزالُ قائمة مثل غياب الرقابة والمساءلة، تُشيرُ أخرى إلى أنها تعتقد بأن الأوضاع قد تَغَيَّرَتْ لجهة الأفضل كَوْنُه قد تَمَّ تعميم نظام الإرشاد التربوي. هَذا وتُشيرُ ثالثة إلى أن ما تسمعهُ من صديقاتها اللواتي لا يَزَلْنَ في مؤسسة إيوائية بأن الأمور اليوم أكثر صعوبة، ويشيرُ آخر إلى أنه لا يعرف ولا يريدُ أن يعرف أي شيء عن هذه المؤسسات.

وعندما تَوَجَّهْنا بسؤال حولَ ما إذا كانَ المبحوثون/ات سوفَ يختارونَ هذه المؤسسات لو كانَ الأمر بِيَدِهِم، أجابَ ستة من تسعة مبحوثين/ات ب (لا). وفي تفسير الأسباب نجدُ بأنها ترجعُ لمسائل مثل العُنْف والخَوْف منه، ورفض العَزْل كنَهْج في التعاطي مع قضايا الأشخاص ذوي الإعاقة وتفضيل النَهْج الذي سوفَ يتيحُ لهم الانخراط في المجتمع والبقاء مع أَهْلِهِم. فقالت إحدى المبحوثات رَدّاً على هذا السؤال:

" مستحيل أنام في مؤسسة أختارها أنا، مرة علمة الدين ضربتني بفرد السيليكون على إيدي وكان سخن نار، طلعت النار من راسي، ضرب مع نار، مستحيل أختار هذه المدرسة، لازم كلهم ينطردوا ونجيب طاقم جديد يعرف يتعامل مع الطلاب. طاقم السكن والمدرسة زي بعض، صح ممكن نكون غلطانين بس طريقة العقاب كانت مش صح، في أشياء ما بتنمحى من الجسد زي الحرق، وكان ضرب بالحديد. في معلمة بتذكرها اسمها ..... كانت تضرب كثير أكثر واحدة. حتى لما كنا نحكي للمديرة تحكي لنا أنتم غلطانين. لما كانت تضربنا كنا نطير من المكان نروح على الفراش أو أي محل. كنا ولا نَفَس، مع أنه كان لازم يأخذونا على المستشفى."

(فتاة لديها صعوبة سمعية، 25 سنة)

وتُضيفُ مبحوثة أخرى:

"يعني بعد ما جربت الجهتين، يعني كله كله بيرجع لأنه بصراحة وأنا صغيرة ما كنت بعرف، بس كيف بفكر اليوم أكيد لا، لأنه الإحساس الي كنت أحسه والعنف وغيره أدركت أنه هو زي سجن فعلاً، وأنا بآمن أنه حق كل بني آدم يتربى ويعيش ويكبر بين أهله .. نظام هاي المدارس جزء من النظام وسياسات الإقصاء والعزل، وبتترك آثار عند الإنسان كثير سلبية زي أنه الشخص نفسه بيصير عنيف، إذا ما أدرك واشتغل على حاله رايحة تكون آثار جداً سلبية زي أنه يكون شخص عنيف أو

شخصيته ضعيفة. كثير من الناس الي بسمع قصصهم في هاي المدارس بيحكوا أنهم طلعوا شخصية ممسوخة لما طلعوا حتى اسمهم كانوا يخجلوا يحكوه، كانوا يحكوه بصوت واطي كثير كثير مش مسموع أبداً. بعدين بتعمل عزلة وإقصاء وشرخ بين الشخص والمجتمع الي حوله. بده وقت طويل ليرجع يتقبل المجتمع الي هو منه أصلاً."

(امرأة لديها صعوبة بصرية، 40 سنة)

ويقول مبحوث آخر: "أبداً، لأنه في عقاب كثير، لما أبطل وأطلع ما بفكر أزور المدرسة، هذا الواقع."

(شابّ لديه صعوبة سمعية، 17 سنة)

وتَفاعُلاً مع ذات السؤال، ثلاثة من المبحوثين/ات أَكَّدوا على أنهم سوفَ يختارونَ هذه المؤسسات، إمّا لِكَوْنِها حَيْثُ يمكنهم تَلَقّي الخدمات بالطُرُق التي تتناسَبُ واحتياجاتهم، أو كما قالت إحداهن:

"اااه بختار أكون هون ليش أكون لحالي في الدار."

(امرأة لديها صعوبة ذهنية، 44 سنة)

ولدى سؤال المبحوثين/ات إن كانوا سيختارونَ ذات المؤسسة لو كانت نهارية، أَكَّدَ ستة منهم على أنهم لن يختاروها وإن كانت نهارية على الإطلاق، ولن تكونَ لثلاثة من المبحوثين/ات خيار لأبنائهم أو بناتهم في حال احتاجوا للتَعَلُّم بطُرُق مختلفة. بَيْنَما أشارَ اثنان من المبحوثين/ات بأنهم يُفَضِّلونَ لو كانت نهارية فقالَ أحدهم:

" اااه والله اااه، كنت أفضل هيك، الواحد كان صغير بدي حدا ألعب معه، بدي أشوف الناس، كنت أحكي وأفكر عليوم لو أنها قريبة، شو بدنا نساوي، بس يعني ذكريات ما بنساها، لليوم."

(شابّ لديه صعوبة حركية، 31 سنة)

وتُضيفُ مبحوثة أخرى:

"أكيد، أنا الكابوس عندي كان في قصة الإيواء مش أكثر. كمؤسسة كانت تقدم خدمة أكاديمية هي كويسة."

(امرأة لديها صعوبة بصرية، 42 سنة)

أَمّا إحدى المبحوثات والتي لديها صعوبة ذهنية فلا تُفَضِّلُ أن تكونَ المؤسسة نهارية، لأنه كما وصفت:

"غرفتي هون وكل شيء لي هون."

(امرأة لديها صعوبة ذهنية، 44 سنة)

ومِن المُلْفِت للنظر أَن أحد المبحوثين مِمَّن قالَ أعلاه بأن هذه المؤسسة لن تكونَ خيارَهُ لو أَنَّ الأمرَ بِيَدِه، قالَ تَفاعُلاً مع هذا السؤال:

"النوم أحسن، مع الأولاد، بنتسلى اليوم أنا لحالي في البيت، في عزلة مع السامعين، الأكثر بيتخوثوا على الصُمّ خاصة الشباب، بدي أكون مع الصُمّ بس هم بعيدين كل حدا في بلد، وكمان في تكلفة مادية في المواصلات، لو يحكوا لي تعال اليوم نام، بروح، بس يكون قسمين واحد للأولاد وآخر للبنات عشان الكل يأخذ راحته وهيك."

(شابّ لديه صعوبة سمعية، 17 سنة)

وفي تَبْيان المبحوثين/ات لأبرز الإيجابيات لهذه المؤسسات، هناك إجماع على أَنَّ التعليم في هذه المؤسسات أفضل، إضافةً لما قالَهُ البعض عن اللعب والموسيقى. هذا ويؤكدُ غالبية المبحوثين/ات على أَنَّ هذه المؤسسات تُمَثِّلُ بيئة حيثُ يمكن تكوين صداقات تصبحُ مع الوقت كما العائلة. وفي وَصْف المبحوثين/ات للسلبيات، تعودُ وتبرزُ ذات القضايا التي تَمَّ طَرْحُها سابقاً، مِن قَبيل العُنْف والتمييز والعُزْلة.

كيفَ تفاعَلَ المبحوثون/ات مع فرصة التَفَكُّر بمقترحات كانَ لَها أن تجعلَهُم أكثر راحةً ورِضا في المؤسسات الإيوائية؟

بدايةً، يجدرُ التنويه إلى أَنَّ المبحوثين/ات قد وجدوا صعوبة في التعامل والتَفاعُل مع هَذا السُؤال، رُبَّما لِأَنَّ بعضهم لا يؤمنُ أصلاً بنَهْج الإيواء، فلا يرونَ جَدْوى مِن التفكير بِمِثْلِ هَذا السُؤال. إنَّما سائر المبحوثين/ات قد تَعَذَّرَ عليهم أن يجدوا أنفسهم في مكان حَيْثُ يمكنهم تَخَيُّل التغيير كخَيار. وفي الحالَتَيْن، تَمَّ إلحاق السُؤال بعبارات مِن قَبيل (ولكن الإيواء لا يزال موجود) أو (فقط لو كانَ بِيَدِكُم السبيل للتغيير). وفي الحالَتَيْن، تَرَكَّزَتِ الإجاباتُ حولَ مجموعة من النقاط مِن قَبيل: تغيير الإدارة والطاقم، وتحسين جَوْدة الطعام، وتطوير أنظمة للرقابة والمساءلة، وتحسين جَوْدة التعليم وخاصةً لدى مُعَلِّمين ومعلمات الطلبة الصُمّ، إذ أضافَ البعض تطوير مهارات الطاقم التدريسي في استخدام لُغة الإشارة، كما في تفسير بعض المواد. إضافةً إلى ذلك، تنفيذ رُزْمة من الأنشطة اللامنهجية مثل الموسيقى والرياضة.، ووضع معايير واضحة ومهنية ودقيقة لاختيار الموظفين سواء الإداريين أو الأكاديميين أو المسؤولين عن القسم الداخلي، وتعزيز سُبُل التَواصُل مع الأهل والأصدقاء خارج المؤسسة، وتغيير تَعامُل الطواقم في هذه المؤسسات. هَذا وأشارَ البعض إلى إلغاء نَهْج الإيواء كاملاً.

آراء المبحوثين/ات حولَ إمكانية تطبيق نَهْج الشُمول أو اللاإيواء في المستقبل القريب

وهُنا تجدرُ الإشارة إلى أَنَّ المبحوثين/ات في تَفاعُلِهِم مع هَذا السؤال قد انْقَسَموا ما بَيْنَ مَن يرى بأَنَّ اللاإيواء والشُمول هُوَ نَهْج ضروري ومُمْكِن، وبَيْنَ مَن جَزَموا بأنه غير مُمْكِن طالَما أَنَّهُ لا تُوْجَد معالجات جَذْرِيَّة للأسباب التي دَفَعَتْهُم أساساً للتَوَجُّه للمؤسسات الإيوائية. فيقولُ أحد المبحوثين:

" لا يمكن إلا إذا أتقنَ المعلمون لغة الإشارة وكان نطقهم واضح ومفهوم، هناك تخوف من هذه الفكرة وأَشُكّ بأنها ممكنة، أنا مستعِدّ أسافر عشان ابني يتعلم في أحسن مكان."

(شابّ لديه صعوبة سمعية، 17 سنة)

وتُضيفُ إحدى المبحوثات:

"في الوقت القريب لا، طالما النظام والسياسات والحكومة نفسها أكيد لا."

(امرأة لديها صعوبة بصرية، 40 سنة)

بَيْنَما يقول الرأي الآخر بأصوات مِن قَبيل:

" نعم أكيد ولازم، بأن يتواجد الكثير من الصُمّ والسامعين في نفس البيئة."

(فتاة لديها صعوبة سمعية، 25 سنة)

ويُضيفُ صَوْت آخر:

"نعم أكيد، بسبب تقدم وتطور التكنولوجيا، حتى المجتمع بصراحة لأنه صار في أنشطة صارت توضح الأفكار والمجتمع إلا ما بيجي يوم ويكون في تغيير جذري من وراء الأنشطة والأبحاث الي بنقوم فيها جميعنا، هاي شغلة رايحة تعزز من فرص التعليم برة هاي المدارس."

(شابّ لديه صعوبة بصرية، 23 سنة)

وتُضيفُ إحدى المبحوثات التي تعملُ كمُعَلِّمة في إحدى المدارس الحكومية قائلةً في وَصْفِها للوضع الراهن:

"حالياً هذا قائم ولكن لا يحصل الطلبة على القدر اللازم من الخدمات الأكاديمية التي كنا نحصل عليها نحن. في الخليل يزورون بيوتهم كل أسبوع الآن، ومع ذلك الخدمات الأكاديمية في جمعية ص في الخليل ليست مثل التي كنا نحصل عليها، الآن الإيواء والتعليم لعمر معين أو صف معين، مثلاً للصف السابع، ولكن الطلبة يخرجون وَهم لا يزالون باحتياج لاهتمام خاص أكثر. في المدارس الحكومية يحتاج الطلبة المكفوفين أن يكونوا شديدي الذكاء كي لا يضيعوا، هذا له خصوصية في حال الإعاقة، المواد التعليمية هناك صعوبة في الحصول عليها مقارنة بالمدارس الإيوائية أو الخاصة سواء الكتب أو التلاخيص وغيرها."

(امرأة لديها صعوبة بصرية، 42 سنة)

وأخيراً، في سؤالِنا عن أيَّة إضافات يرغب المبحوثون/ات بالتحدث عنها، ارتأى اثنان من المبحوثين/ات ضرورةً للتحدث عن أمرَيْن: البيئة المعمارية للمؤسسات الإيوائية ومدى مراعاتِها للفروق الفردية، والمقارنة ما بينَ المؤسسات الإيوائية والمدارس النظامية خاصةً من قِبَل الأشخاص الذينَ أُتيحَتْ لهم فرصةُ التَعَلُّم في كِلْتا المؤسستين.

فقالَ الشابّ في وَصْف المؤسسة الإيوائية الذي كانَ فيها:

"كان تصميم المبنى للمدرسة جداً سيئ، كان متداخل ببعضه للكفيف أحياناً كان للبعض يخربش بين الدخلات، الأعمدة موجودة في وسط الممرات أو الغرف لدرجة أنه في شابّ صاحبي كان بيركض بخبط في عمود وقطبوا له رأسه سبع قُطَب."

(شابّ لديه صعوبة بصرية، 23 سنة)

هَذا وقالت إحدى المبحوثات في محاوَلة للمقارنة ما بينَ التَعَلُّم في المؤسسة الإيوائية والمدرسة النظامية أو الحكومية:

"هي يعني أكثر زي كأنه، كيف بدي أحكي، يعني كنا محصورين في التعامل مع أشخاص ذووي إعاقة، هناك بلشت أتعلم عن ناس أكثر من خلفيات اجتماعية مختلفة صرت أعرف أكثر عن عاداتنا في البلد بغض النظر أني رافضتها بس تعرفت عليها أكثر، المنافسة في المدرسة النظامية بين الطلاب أقوى لاحظتها، ما بتذكر أني في المدرسة الإيوائية كنت أنافس حدا. طبعاً كونه العدد كبير ما بيكون في اهتمام كافي بكل الطلاب، عدد الطلاب في الصف كان يكون فوق 35 أو 40 بس المهم أني كنت أرجع على البيت بلشت أتعرف على أهلي، كان عندي أختين كنت أحس أني لفترة معينة كنت غريبة عنهم كأني ما بعرفهم."
(امرأة لديها صعوبة بصرية، 40 سنة)

المناقشة والخُلاصة

بِصِفَتي إحدى الأشخاص ذوات الإعاقة مِمَّن مَكَثوا في مؤسسة إيوائية لعشرة سنوات، يمكنُ أن أبدأ هذا الجزء بأن أقول أَنّي أشعرُ بالانتماء للكثير مِمّا تَمَّتْ مُشارَكَتُه من قِبَل المبحوثين/ات في الأجزاء السابقة من التقرير، وبأن هناك الكثير من القواسم المُشْتَرَكة في العناصر المُشَكِّلة للإيواء كتجربة، هَذا بالرغم من حقيقة أن تجاربنا هُنا غير قابلة للتعميم بالضرورة، إلّا إنْ قُمْنا بإجراء بحوث تستهدفُ عَيِّنات مُمَثِّلة وتنظرُ عميقاً في هذه التجربة مِن زَواياها المختلفة. وبصرف النظر، يبدو بأنه وانطلاقاً من البيانات التي بَيْنَ أَيْدينا، يمكنُ أن نقولَ أن الإيواء كتجربة هيَ ليست بالضرورة خَيار مألوف وسَهْل وقابل للهَضْم بِسَلاسة على المستوى النفسي والاجتماعي للأشخاص ذوي الإعاقة. وفي ذات الوَقْت، هُوَ نَهْج لَهُ أَنْ يَخْلِقَ حالةً مِن الإرباك والفَوْضى في أذهان العديد من الأشخاص ذوي الإعاقة، إذ مِن جهة، هُوَ ينضوي كما لاحَظْنا على العديد من التَفاصيل والممارسات مِن قِبَل العاملين/ات في المؤسسات الإيوائية، التي يمكنُ وَصْفُها بأنها لا تقوم على احترام كرامة الإنسان كَما لا تُراعي الحَقّ بالأمن الشخصي والحماية مِن العُنْف وسوء المعاملة. ومِن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ هَذا النَهْج (الإيواء) يُؤجِدُ مجتمعاً مُصَغَّراً في أوساط الطلبة ذوي الإعاقة، حَيْثُ يُعايِشونَ حالةً من الاتحام والتَكافُل والأُلْفة، تَقومُ على القواسم المشتركة والهُوِيَّة الجَمْعية التي تتبلورُ بسبب تجربتهم مع الإعاقة مِن جهة، والافتقاد لهذه الحالة في مجتمعاتهم المحليَّة وما تُحيطُها مِن بُنى مؤسسية واجتماعية مِن جهةٍ أخرى. وهَذا لا يعني بالضرورة أَنَّ الأُسَر غَيْر مُحِبَّة وغَيْر متقبلة، إنما ببَساطة لا تُتْقِنُ استخدام اللُغة المناسبة سواء أكانت لُغة الإشارة التي يستخدمها الأشخاص ذوو الصعوبة السمعية في عمليات التَواصُل أو أشكال أخرى مِن لُغة التَفاعُل التي تنعكسُ على السلوكيات أو الممارسات التي تحد من سُبُل التَفاهُم ومقومات الانتماء لدى الأشخاص الذينَ لديهم أنواع صعوبات/إعاقات أخرى. وأنا أذكرُ مُعايَشة العديد من المواقف التي أشارَ إليها المبحوثونات أعلاه، مِن قَبيل كافَّةِ أشكال العُنْف اللفظي والجسدي والنفسي والجنسي في المؤسسة الإيوائية التي كُنْتُ فيها، كما أذكرُ كذلك حالةَ التَناقُض داخلي

على المستوى الذهني والوجداني، ما جعلَ يَوْمَ تَرْكي للمؤسسة غايةً في الصعوبة، وَتلاهُ عطلةً صيفيَّةً طَويلة تَخَلَّلها الكثير من الإرهاق الفِكْري والنفسي، والعُزْلة، والشعور بأن جزء مِنّي قد انْفَصَلَ عَنّي، وكانَ عَلَيَّ أن أُواجِهَ ذَلِكَ بِمُفْرَدي، وُصولاً إلى قرار يُفيدُ بضرورةِ الوُقوف مجدداً ولملمة أجزائي، واختراع مُكَوّنات أخرى تُعينُني على بِناء حياة غَيْر تِلْكَ التي عَرَفْتُها. إنَّ هَذا المَزيج مِن عوامل الجَذْب والطَرْد في المؤسسات الإيوائية لا بُدَّ وأن يكونَ لَهُ إرهاصات على أفكار الأشخاص ذوي الإعاقة ومشاعرهم، الأمر الذي يتطلبُ مزيداً مِن التدقيق والبَحْث.

وفي المُجْمَل، فالمَلامح التي يُمْكِنُ استقراؤُها لتجربة الإيواء في هَذا التقرير تتمَحْوَرُ حَوْلَ مجموعة من القضايا الأساسية مثل:

- العدد الأكبر من المبحوثين/ات لم يُريدوا ولا يُريدونَ المُكوثَ في مؤسساتٍ إيوائية، رغم حالة الالتباس التي يعيشونَها بسبب تكوين صَداقات من جهة وتَلَقّي الخدمات بالطُرُق المناسبة من جهةٍ أخرى.
- قِلَّة من المبحوثين/ات أشاروا إلى أنهم كانوا شُرَكاء في اتِّخاذ القرار بالالتحاق بالمؤسسات الإيوائية، بَيْنَما الأكثر هُم مَن الْتَحَقوا بهذه المؤسسات بقرارٍ مِن الأَهْل، ونتيجة للرَفْض الذي تَعَرَّضوا لَهُ في المؤسسات الكائنة في أماكنِ سَكَنِهم.
- بالرغم من صِغَر العَيّنة، إلّا أَنَّهُ مِن اللافِت للنَظَر أَنَّ سبعة مِن تسعة مبحوثين/ات أشاروا بشكلٍ أو بآخَر إلى تَعَرُّضِهِم للعُنْف وسوء المُعامَلة والتمييز مِن قِبَل الطواقم العاملة في المؤسسات الإيوائية، سواء مَن تَرَكوها قبلَ ثلاثينَ عاماً أو مَن لا يزالونَ يمكثونَ فيها إلى حينِه.

وأخيراً، هُناكَ ضرورة لتطوير منهجية شاملة ومَدْروسة لَها أن تُتيحَ مشاركة جميعِ الأطراف ذوي العلاقة في هذه التجربة بدءًا بالأشخاص ذوي الإعاقة، مروراً بالأُسَر، وُصولاً للطواقم العاملة في المؤسسات الإيوائية وغيرهم من الفاعلين/ات في قطاع الإعاقة بما في ذلك النُشَطاء، انتهاءً بالجهات الرسمية والدولية. فكُلُّ هذه الأطراف تلعبُ أدوارً هامَّة على تَفاوُتِها في تشكيل هذه التجربة وتعزيز نَهْج الإيواء أو العمل على الحَدّ منه في البلاد، وتُعْتَبَر مَحَلّ اهتمام إذا ما أردنا بَلْوَرةَ فَهْمٍ دقيقٍ وَذي جَدْوى. إضافةً إلى ذلك، فَإِنَّ هَذا البحث التجريبي لم يُتِحْ الفرصة الكافية للتَوَسُّع في استكشاف آراء الأشخاص ذوي الإعاقة إزاء نَهْج اللاإيواء، كَما اختلطَ على المبحوثين/ات مفهوم اللاإيواء ومفهوم الشُمول في معالجتهم للسؤال المتعلق بهذه المسألة. وعليه، قد يكون من الهامّ إجراء دراسة تستكشف الفارق بَيْنَ المفهومَيْن مِن وجهة نظر الأشخاص ذوي الإعاقة وانعكاسها على استراتيجيات العمل ذات الصلة، وأَيُّها يلقى أكثر ترحيباً من طَرَفِهم، إضافةً لفحص الأسباب وراء ذلك من جهة وكيفَ يرونَ تَحَقُّق كُلٍ من الاستراتيجيَتَيْنِ مِن جهةٍ أخرى.